جماليات المكان في شعر محمد بن صالح ناصر

أ.د. زين الدين بن موسى

ملخص المداخلة:

يعدّ الشاعر سفير أمّته المعبّر عن حالها وواقعها الرّاهن؛ حيث يضمن استمرار فكرها الثقافي الذي يكشف عن مدى أصالتها وعمق تشبّثها بأواصر مختلف العلاقات الحضارية التي من شانها أن تبرز مدى انتمائها من جهة و قوّة التحامها من جهة أخرى، فالأمة العربية حينما تشرذمت إلى دويلات بقيت شعُوبها محافظة على ملامح و وشائج تخبو تارة وتذكى تارة أخرى،وذلك من خلال جهود المؤسسات والأفراد الذين حاولوا إعادة الاعتبار إلى تلك العلاقة بين مجتمعات الأمّة العربية بوصفها لحمة واحدة.

وأصدق من عبّر على ذلك الأدباء لاسيما الشعراء منهم؛ فهم الذين حملوا لواء تمجيد ماضي الأمّة التليد،وأحيوا بعض أصول القرابة الاجتماعية بين أوطان تباعدت جغرافيا و تماهت قربا بالمُنتج الفكري، فما تضمّنته قصائد الشّعراء في المغرب العربي عامّة والجزائر خاصّة يبيّن حقيقة تلك الرّوابط الدينية والثقافية والاجتماعية التي كانت ولا تزال بين سلطنة عُمان والجزائر، فوحدة الرؤية في المذهب الإباضي أسهمت بحقّ في تمتين تلك العلاقات وتوطيدها بما لا يدع مجالا لأدنى ريب في قيمة التواصل بين البلدين، فأدب الرّحلة والسفريات العلمية المتعدّدة أبانا عن كمّ هائل من الإنتاج الأدبي خاصّة الشعري منه الذي تضمّن صورا من عُرى التواصل بأبعادها المختلفة،وما يؤكّد ذلك غرض الوجدانيات الذي تخلّل دواوين الشعراء الجزائريين تعبيرا منهم عن مكانة وقيمة السلطنة في أنفسهم.

فالنموذج الذي ارتأيناه ممثّلا بصدق عن قوة ذلك التواصل هو ما نظمه الشاعر محمد بن صالح ناصر أحد أدباء المذهب الإباضي في الجزائر. من قصائد وجدانية تفيض حنينا إلى من لقيهم بالسلطنة عند زيارته العلمية لها، كما أنّه أودع أبياته الشعرية معان توضّح مدى تأثّره بطبيعة المكان في السلطنة نفسها؛ حيث إنّه عدّها امتدادا لبلده وحاول أن لا يجعلها بلدا ثانيا بحكم شعوره الواحد في البلدين، وهذا ما تشهد به بعض أبياته حين يقول:

لو كنت فارقت الدّيار مهاجـرا
ما اخـترت غيرك للشّدائد والمحن
أو كنت في عمري عشقت سوى الوطن
لاخترت من أرض العقيدة لي سكن

وسنحاول من خلال هذه المداخلة التي نودّ المشاركة بها في فعاليات مؤتمركم هذا أن نتتبّع مخيال الشاعر وجوانح عواطفه التي صوّرت بلاد عُمان ماديّا ومعنويا وارتسمت في نفسه ذكرى لماض احتفظ به و واقعا حاضرا يتمثّله في حياته.

مقدّمة:

لم تنقطع أواصر العلاقات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية بين المجتمعات العربية إلاّ حينما علّمت حدود الأوطان بالنقاط الحمراء في خريطة الشعوب المُستعمِرة التي حاولت أن تبتر كلّ لُحمة بين أبناء الأمّة العربية، حيث كان هذا المسعى هو أكبر مكسب ظفر به الاستعمار الغربي على أنّه الغاية المرجوة و الهدف الأسمى الذي عملت على تكريسه حتّى بعد الاستقلال المزعوم، وذلك بفرض وصايات خارجية تبدو للوهلة الأولى بأنّها هامشية تكشف عن علاقة طبيعية بين الدّول بحكم التعاون السياسي والاقتصادي و الثقافي، غير أنّ هذا المنحى سرعان ما تتّضح ملامحه على أنّه امتداد سابق لمراد استعماري مؤسّس يهدف إلى الظفر بمقدّرات الشعوب العربية الاقتصادية منها والفكرية

فمثل هذا الحقل الخصب في مجال الاستغلال والاستثمار كان ولا يزال مبتغىالدّول الغربية التي حاولت قديما وحديثا أن تبتزّ ما في الوطن العربي من

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

خيرات وتجعله سوقا رائجا لبضائعها الكاسدة، ولا يتحقّق ذلك إلاّ بقسمة ارتضوها لأنفسهم على أن ينال كلّ طرف منهم حيّزا جغرافيا يكون بمثابة المُلك الخالص الذي يتواصون بالمحافظة عليه جيلا بعد جيل على أنّه إرث يحسُن رعايته لضمان الاستمرارية والهيمنة.

فالقطيعة التي تكرّست بين الشعوب العربية ظهرت ملامحها في بدايات القرن التاسع عشر حينما تبلورت النّزعة الاستعمارية عند الشعوب الغربية، غير أنّ هذا البعد الاستعماري لم يكن حائلا دون ظهور جهود بعث و إعادة التواصل بين بعض الجهات في الوطن العربي بحكم تقاربها المذهبي الذي يتكأ على وحدة العقيدة لوجود روابط دينية قويّة يستحيل قطعها وتمزيق وشائجها، وما يثبت ذلك ما حفظه تاريخ التدوين في المراسلات الخاصّة والعامّة أثناء فترة الاستعمار؛ حيث لم تتوقّف تلك المبادلات الفكرية بين علماء المذاهب المختلفة إمّا عن طريق الرسائل المكتوبة والكتب المدوّنة أو حينما يكون الملتقى في الحجّ الأكبر الذي مثّل للأمّة العربية حيزا زمكانيا مهمّا يساعف زوّار البيت الحرام من المسلمين والعرب لكي تحدث فرص اللّقاء بين الفرقاء الذين انعزلوا بفعل جهود المُستعمِر في تشتيت كلّ مسعى لربط كلّ علاقة مهما كانت طبيعتها لاسيما إذا كانت العلاقة نوعية ترقى لئن تكون فكرية يهدف أصحابها من ورائها تحقيق هدف ما أساسه الأوّل تمتين عُرى التواصل الدائم أو الآني.

وما يؤكّد حقيقة هذه الرؤية في نيّة التواصل الدائم بين الشعوب الإسلامية بمعزل عن حكوماتها هي تلك الجهود التي تضمّنها المجال الثقافي بما يحويه من أنشطة تبرز مدى إسهام كلّ مجتمع عربي في توحيد شمل الأمّة إمّا بالكتابات الأدبية أو بغيرها من الأعمال الفنيّة التي خلّدت أسماء الكثير من العلماء والأدباء والفنّانين بحكم تعاقدهم على بعث كلّ مُنجز ثقافي يزيد من إيضاح تلك العلاقة بين جميع شعوب الوطن الإسلامي والعربي، وممّا يشهد على ذلك عيانا ما تمّت ملاحظته في إطار المذهب الإباضي الذي ظلّ محافظا على خصوصيته الفكرية و التزاماته الاجتماعية اتّجاه اتباعه في كلّ قطر إسلامي أو عربي؛ ومرجعية ذلك كما يقول فرحات الجعبيري: (انطلقت من منطلق عقدي واحد، ازداد تعمّقا عبر الزمن)١، فهذا هو الذي كفل عمق التواصل بين مريدي هذا المذهب قديما و حديثا، ولعلّ أبرز علاقة متشابكة تبيّن حقيقة ذلك هي تلك الأواصر التي امتدّت بين معتنقي المذهب الإباضي في المشرق والمغرب بحكم الحتمية التاريخية التي تأسّست بفعل الرحلات العلمية و الهجرات المنظّمة للقبائل من المشرق إلى المغرب أو العكس نظرا لبعض المتغيرات السياسية والطائفية.

هذا التواصل الثقافي المتين الذي حصل و يحصل بين إباضية المشرق و المغرب الإسلاميين في مسيرة المذهب الإباضي الطّويلة، يمكن أن يلحظه الدّارس في الأصول التي تربط الإباضية في المغرب الإسلامي بعمان من حيث النشأة الثقافية و الفكرية، والانتماء الإيماني و المذهبي والارتباط العاطفي، ومن حيث التدرّج والتقدّم في التكوّن والتكوين والإعداد، والملاحظ أنّ هذا المنحى التواصلي عادة ما يقرّ بفضل عُمان بوصفها منارة هذا المذهب على بقية الأقطار لاسيما المغرب العربي؛ حيث تفيض بمعين علمائها في هذا المذهب على كلّ من أراد أن يجد طريقا إلى اعتماده كمرجعية دينية وخلفية ثقافية، ومن ثمّ الاستعانة بهؤلاء العلماء في إرساء قواعد المذهب و أسسه في المغرب الإسلامي، والتطلّع دائما إلى استمداد العون والقوّة من عمان لضمان الثّبات و الاستمرارية، وكذا الاستعانة بها في حلّ مشاكلهم السياسية و المادية و المذهبية؛ لكون عمان هي الموطن الأمّ للإباضية في العالم الإسلامي، ويلحظ الدّارس التّواصل الثقافي في استمداد عمان الطّاقة الرّوحية و المعنوية و التأييدية من المغرب؛ للنهوض بالمذهب الإباضي وخدمة الثقافة الإسلامية(٢)

إنّ التعاون الثقافي بين إباضية المشرق والمغرب كان قائما منذ القديم في كثير من المجالات: في الفتوى والتّعليم والتأليف والتّراسل والتّزاور، وما تزال هذه الصّلة الثقافية قائمة إلى اليوم، في المجالات المذكورة وغيرها. قد يعتريها ضعف و وهن في بعض الفترات، نتيجة ظروف و عوامل خاصّة، إلاّ أنّها لم تتقطع، وهي اليوم تزداد وتتحسّن وتتوثّق أكثر، يدعم هذا ويؤكّده ما جاء في جريدة الحياة الجزائرية بعد اختتام أعمال اللّجنة المشتركة العمانيّة الجزائرية في مسقط يوم ٦ من شعبان١٤١٤هـ الموافق لـ١٩ من جانفي١٩٩٣م. جاء في هذه الجريدة: وقد بحثت اللّجنة سبل تطوير علاقات التّعاون بين البلدين في مختلف المجالات: التّجارية والاقتصادية والسياحية، وكذا تعزيز التّعاون التّربوي والثقافي بين البلدين...

كما اتّفق على إرسال خبراء جزائريّين لسلطنة عمان، واستقبال طلبة عمانيّين في مصالح التكوين الجزائرية(٣).

فواقع التعاون بين السّلطنة والجزائر أكبر من أن يحاط به نظرا لوجود مناطق في الجنوب الجزائري تشمل مدينة غرداية وما حولها لا تدين إلاّ بالمذهب الإباضي وتسعى دوما لنسج علاقات دائمة مع المصادر الأصيلة في المشرق، ويعضد هذا التراث الضخم من المخطوط الفكري الذي أبان عن مدى قوّة التعاون والتواصل بين البلدين في عدّة مجالات كما تمّت الإشارة إلى ذلك آنفا، ويتّسع نطاق التعاون عادة في المجال العلمي من خلال الرّحلات والبعثات المتبادلة التي يشهد على استمراريتها توافد الطلبة والباحثين من عُمان والجزائر لكي يشاركوا في الفعاليات العلمية والتظاهرات الثقافية، ممّا يسمح بنقل التجارب المكتسبة في التعاطي مع مستجدّات العصر خاصّة مع توافر الشابكة العالمية التي أتاحت بدورها فرصا أكبر للتعاون واللّقاء المباشر عبر مواقع التواصل الاجتماعي، ليشكّل كلّ ذلك مشهدا ثقافيا مشتركا بين البلدين بالرّغم من حيازة كلّ بلد على ما يستغني به عن الآخر من خصوصيات اجتماعية وثقافية، ممّا يعني أنّ فرص الشراكة بين أتباع المذهب في لبلدين لا يمكن لها أن تنزوي في لحظة ما بفعل تيار العولمة مثلا لوجود روابط لها من الجذور التاريخية ما يجعلها بعيدة عن أيّ انفصام. ويعدّ الإنتاج الأدبي الذي أفرزته قرائح كتّاب البلدين فضاء خصبا لاكتشاف مدى قيمة ذلك التماس بين المعطى الفني عند كليهما، وهذا ما تمّ رصده من خلال الأعمال المُنجزة ضمن إطار الرّواية والقصّة والشّعر، بما في ذلك أدب الرّحلات نفسه الذي يصوّر بصدق معاني هذا الترابط الدائم المنعكسة ظلاله على الشعبين العُماني والجزائري، الأمر الذي سنح بنبوغ شعراء في القطرين حاولوا نقل الأحاسيس والمشاعر الفيّاضة التي تُحاكي ما يعيشه كلّ شاعر من البلدين عند زيارته و إقامته بعمان أو الجزائر، وأصدق صورة عن هذا التمثّل ما تمّت ملاحظته عند قراءة قصائد الشاعر محمد بن صالح ناصر الذي أودع ديوانه (ألحان وأشجان) جملة من النصوص الشعرية المُعبّرة عن واقعية تلك المشاعر والأحاسيس، وهذه المدوّنة هي التي ستكون محور الدّراسة في هذه المداخلة.

أوّلا: الحياة الشعرية لمحمد بن صالح ناصر

أ. نبذة عن نشأته وتحصيله العلمي:

كثيرا ما صقلت الموهبة الشعرية حياة أولئك الذين عاشوا في ظلال الأدب بحكم ميولاتهم الشخصية أو اختصاصهم العلمي وانتمائهم إلى بيئة تحرص على تنمية المهارات اللّغوية وتربية الملكة الأدبية من خلال قراءة وحفظ ذخائر العربية شعرا ونثرا، فهذه الميزة كانت ولا تزال مرحلة مهمّة في التعليم غير النّظامي لدى بعض المعاهد الشرعية التي يؤسّسها علماءُ مذهب ما في مناطق سكناهم لكي تكون عونا على التحصيل الجيّد الذي يبني مفهوم الشخصية العلمية التي تنشأ في أحضان العلم تنهل من معينه، فتكون بذلك مؤهلة مستقبلا للإنتاج والإنجاز، وفي مثل هذه الرّحاب العلمية نشأ الأديب الجزائري محمد صالح ناصر الذي وُلدبالقرارة، ولاية غرداية، الجزائر، يوم ١٣ رمضان ١٣٥٧هـ الموافق لـ ٠١ ديسمبر ١٩٣٨م، حفظ القرآن الكريم سنة ١٩٥٤م، وتلقّى مبادئ العلوم من لغة وفقه و دين من شيوخ وعلماء بارزين في الحركة الإصلاحية(٤)، هذه الحركة التي كان لها أثر كبير في تكوين جيل من العلماء الذين حملوا على عاتقهم فيما بعد مهمّة تأطير من التحق بالجامعة الجزائرية بعد الاستقلال، وقد كان الطابع العام في المنهج التعليمي للحركة الإصلاحية لا يبتعد كثيرا عن منهج القدماء في نوعية التّحصيل العلمي وقوّة إذكاء الرّغبة في الإقبال على العلم والازدياد من رصيده في كلّ مرحلة من مراحل التكوين، وحينما التحق الأديب محمد بن صالح ناصر بالمدرسة النظامية استثمر معارفه السابقة التي اكتسبها من كتاتيب ومعاهد بلدته بالقرارة، حيث تدرّج في الأطوار التعليمية فتحصّل على شهادة الثانوية من معهد الحياة في جوان ١٩٥٩م، وشهادة اللّيسانس في الأدب العربي من جامعة القاهرة جوان١٩٦٦م، وشهادة دكتوراه حلقة ثالثة من جامعة الجزائر في جوان١٩٧٢م وشهادة دكتوراه دولة من جامعة الجزائر في أكتوبر١٩٨٣م.

فكانت شهاداته العلمية هذه بمثابة المكسب المادي والمعنوي الذي أهّله ليشغل عدّة وظائف علمية وإدارية من أهمّها مستشار الشؤون التعليمية لمدير معهد العلوم الشرعية بمسقط، سلطنة عُمان، في مناهج وبرامج الدّراسات العليا(١٩٩٢-١٩٩٨)، وهنا تبرز آفاق نيّة التواصل العلمي بين الجزائر والسلطنة لأنّ منصبه هذا كانت الجزائر آنذاك في مسيس الحاجة إليه، إلاّ أنّ الرغبة

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

الجامعة في تمتين عُرى الوثاق بين البلدين كانت أكبر من يستأثر كلّ بلد بما لديه من مؤهّلات علمية ومقدّرات فكرية.

ب مؤلفاته في النقد والأدب:

ما يشهد على كفاءة الرّجل وتمكّنه من اختصاصه العلمي ويرجّح سمة ميولاته الأدبية هو كثرة تآليفه في هذا المجال؛ حيث أغنى المكتبة العربية بعدّة مصنّفات تنمّ عن عقلية مبدعة وشخصية ناقدة برؤية فاحصة تسعى إلى تحقيق غاية أسمى كثيرا ما كانت هدف العلماء وهي تمكين الأجيال المتعلّمة من الاطّلاع على التراث ومن ثمّ استغلاله لبلورة مستجدّات الإبداع الفكري والأدبي في أيّ عصر، فتوزّعت أعمال الأديب محمد بن صالح ناصر بين الجمع والدّراسة والشرح والتّحقيق، ليكون ذلك أنموذجا للباحث والأديب والشّاعر الذي يجمع بين التكوين الأكاديمي والموهبة الإبداعية، ويمكن تحديد قائمة أهمّ مؤلفاته على النحو الآتي:

- المقالة الصحفية الجزائرية (١٩٠٣-١٩٣١) جزآن –الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،١٩٧٨م.
- الصحف العربية الجزائرية (١٨٤٧-١٩٩٣) الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،١٩٨٠م.
- الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته و خصائصه الفنيّة (١٩٥٢-١٩٧٥م)، (رسالة دكتوراه)، بيروت، دار الغرب الإسلامي،١٩٨٥م.
- ما حوجنا إلى أدب إسلامي سلطنة عُمان، ١٩٩٢م.
- الأدب والنّصوص للمرحلة الثالثة ثانوي، معهد القضاء الشرعي، سلطنة عُمان،١٩٩٢م.
- خصائص الأدب الإسلامي، مؤسسة الضامري، سلطنة عُمان،١٩٩٣م.
- حداثة أم ردّة ؟، مؤسسة الضامري، سلطنة عُمان،١٩٩٩م.

كما شارك في إعداد موسوعة البابطين للشعر العربي الصادرة في الكويت بالتحرير عن الشعراء (محمد بن حمو النوري، إبراهيم القرادي، أبو العلاء عبد اللّه بن إبراهيم)، فإن كانت هذه الأعمال تنحصر في ميدان الأدب والنقد عادة غسهامات أخرى في أدب الطفل والتراجم والطّبقات، كما أنّه أشرف على عديد المشاريع العلمية المُنجزة حديثا أهمّها (معجم أعلام الإباضية من القرن الأوّل الهجري إلى العصر الحاضر، قسم المغرب الإسلامي)

ج قصائد ودواوين شعرية:

إنّ الملكة الشعرية لا تتأتى لكلّ من سبح في فلك الأدب واعتنق مذاهبه النثرية والشعرية لأنّ رؤية الشّاعر متعلّقة بقيمة أحاسيسه ومشاعره الفنيّة ومدى قابلية نفسه الجامحة للإبداع؛ حيث يبذل قصارى جهده لترويض كلّ قدراته على أن يهب نفسه لقرض الشعر ونظم القصائد في كلّ ما يراه صورة فنيّة، فثل الشاعر كمثل أيّ فنّان لا يرى إلاّ بعين حسّه الفني الذوّاق الذي يستمدّ طاقته الإبداعية من محصّلة ما يجتمع لديه من أفكار تكاد أن تكون بحوزته هو فقط دون غيره، حتّى وإن تناول الموضوع نفسه من قبله عديد الشعراء والأدباء، وهذه المقدرة الشعرية هي التي أتاحت للأديب الشاعر محمد بن صالح ناصر فرصة تطويع قلمه للكتابة في عدّة مواضيع أسال منها رحيق أشجانه ومشاعره التي انصبّت في معان واضحة تضمنتها ألفاظ رائقة و عبارات سلسلة مثّلت في جملتها لوحة فنيّة كشفت عن ممارسة شعرية لها من الخصائص ما يؤهّلها لإنتاج عديد الدّواوين والقصائد والملاحم، أشهرها ذيوعا مايلي:

- ديوان شعر: وحي الضمير في واحات زقرير (ديوان مخطوط) ٥٠ قصيدة شعرية فصيحة، ما بين ١٩٥٧-١٩٦٢م، وهو يحوي على قصائد نشرها الدكتور في طور التحصيل بمعهد الحياة، منها١٥ نشيدا بالفصحى والدارجة والميزابية.
- ديوان شعر: أغنيات النخيل،١٩ قصيدة، مابين ١٩٦٣-١٩٨٠م، نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،١٩٨١م.
- ملحمة الجزائر، قصيدة شعريّة مطوّلة بالعربية الدّارجة في وصف ولايات الوطن الجزائري،١٩٨٣م.
- ديوان شعر: البراعم الندية، شعر وأناشيد للأطفال،٩ قصائد، ما بين١٩٨٠-١٩٨٤م، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب،١٩٨٤م
- مختارات من شعر الأمير عبد القادر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،١٩٨٤م.
- ديوان شعر: في رحاب اللّه، ١٨ قصيدة ما بين ١٩٨٠-١٩٩٠م، نشر المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، رغاية-الجزائر،١٩٩١م.
- ديوان شعر: ألحان وأشجان،١٨ قصيدة ما بين١٩٩١-١٩٩٣م، نشر جمعية التراث، غرداية، الجزائر،١٩٩٥م.

- الخافق الصادق، حوالي٤٠ قصيدة ما بين ١٩٩٥-٢٠٠٨.
- قصيدة: جبل النور، ألقيت في مسجد سيدي بنور، باب الواد، الجزائر، ماي٢٠٠٨م(٦).

وتقديرا لجهود الرّجل العلمية فقد مُنح جائزة الدّولة التقديرية في النقد والأدب والشعر سنة١٩٨٤م.

ثانيا: مظاهر التواصل بين الجزائر وعُمان من وحي ثلاثية الوصف و الرثاء والاغتراب

يمثّل أدب الرّحلة منفذا خصبا للولوج إلى عوالم كثيرا ما تكون جسورا للتواصل بين أماكن وبقاع مختلفة يزورها الأديب فيرسم من خلالها لوحات فنيّة تجسّدها قصّته أو روايته أو قصيدة من قصائد شعره، فالأديب حينما يفارق وطنه الأصيل متيّمما شطر غيره من البلدان يبتغي علما أو حاجة في نفسه من حوائج الدّنيا فهو حتما بذلك سيلاحظ مظاهر التباين بين ما كان يعيشه من واقع بيئة طبيعية وحياة مجتمع يحاول أن يجد فيما حلّ به من بلد مغايربعضا من آماله التي هاجر من أجلها اضطرارا أو سياحة ومن ثمّ تنبلج مشاعر الأديب الرّحالة عن أشجان تكون في الغالب تعبيرا عن غربة أو اغتراب أو أحاسيس مماثلة على أنّها صنو لما يشعر به عندما يكون في بلده الأمّ، ولا يتحقّق ذلك إلاّ إذا انعقدت صلات دينية و روحية بين مجتمعين لها من التّاريخ المشترك ما يجعل أواصر الوحدة والترابط أكبر من أن يتبدّد معها شعور بالإلفة، فلا مكان للشعوربالغربة فللأديب مع ما وجد من بدائل توافق وانصهار تامّ على أنّه حاز المبتغى في وطنه الجديد الذي لم يفارق مع الإقامة فيه أهله وخلاّنه، فمثل هذه المظاهر كثيرا ما حاول الشاعر محمد بن صالح ناصر تجسيدها من خلال نظمه لبعض القصائد التي تنمّ عن عمق هذه العلاقة الوطيدة بين بلده الجزائر و صنوها عمان، ويمكن التمثيل لتلك المشاعر الجيّاشة ببعض الأبيات الشعرية التي تضمّنت وصفا لعدد من المناطق استوحاه الشّاعر من خلال رحلاته العلمية وسفرياته السحرية:

أ - الإشادة بقيمة المكان:

تعدّدت الرّحلات العلمية بين الجزائر وعمان قصد طلب العلم من جهة أو قصد تبادل المعارف من جهة أخرى،وهذا ما أتاح فرصة لمن زاروا البلدين من الشّعراء والأدباء بأن يعبّروا عن تلك المشاعر التي سكبوها من فيض إحساسهم بقيمة المكان وطبيعته، يشهد على ذلك تخليد بعض أسماء المدن والمناطق بعينها في قصائدهم لكونها تركت أثرا إيجابيا في نفسية الشاعر إمّا لسحر جمال طبيعتها أو دماثة أخلاق أهلها أو لكرم وجود سكانها الذين يحيطون كلّ زائر بالعناية والرّعاية؛ ولعلّ قصيدة (بدية حرم للعلم والعلماء) التي نظمها محمد بن صالح ناصر حين قام وفد من طلبة معهد القضاء الشرعي بزيارتها في١٦-١٧ جمادى الأولى ١٤١٢هـ الموافق لـ ٢١-٢٢ نوفمبر١٩٩١م قصد الاستفادة من مكتبة الشيخ (السالمي) رحمه اللّه حيث يقول:

كلّ ما فيك للنفوس أمان
وهناء ولو تشطّ الدّيار
كيف لا تهدأ النفوس بأرض
هي للعلم قبلة ومنار
و ثراها مضمّخ بصلاة
وجهاد فريحها معطار(٧)

فأيّ بقعة مباركة حازت كلّ هذا الثناء إن لم تكن قد أوقعت فعلا في نفسية الشّاعر بصمة جعلته ينعت (بدية) هذه بكلّ وصف يزيد حسنا و بهاء في نفس من يقرأ أبيات القصيدة، لكونها حوت ميزات تنعكس صورتها في نفس زائرها قبل أن يعرف غيرها من مثيلاتها، فهي إن لم تكن مكانا مقدّسا فليس ببعيد أن تكون قدسيتها مستمدّة من مجد ماضيها وحاضرها؛ لأنّها قبلة كلّ عالم ومتعلّم ومهد الشهداء الذين خضّبوا أرضها بدماء زكيّة يفوح شذاها عبَقا ينفذ عبر أوصال أولئك الذين زاروها وعرفوا قدرها من خلال أثار أسلافها، فما من حظوة اكتسبتها هذه البلدة إلاّ وقد منحت للشّاعر قوّة روحية وأمان التمسه حينما أقام بها وولج ديارها، فكلّها أمان وهناء ولو تنائى مقامُها عن ديار الشاعر الذي زارها شوقا إليها و وولها بتلادة مجدها. ومن البلدات التي نزل بها الشاعر محمد بن صالح ناصر (تنوف) التي تعدّ موطنا لأشهر أعلام الفكر في عُمان وهو الشيخ السالميّ رحمه الله الذي مثّل للشاعر بؤرة إشعاع استمدّ من خلالها رؤيته إلى المدينة بوصفها حاضرة للعلم تستقطب كلّ من يعرف ميزتها ويستحضر في نفسه خصوصية بيئتها، فيجمع الشّاعر قوى ألفاظه ليعبّر عن ذلك بقوله:

هدّني الشوق والمزار بعيد
ومن الشوق طائر وسفين(٨)
أنت مهد الهداة علما ودينا
وكفى السالميّ ذاك الأمين(٩)

لهفة الشاعر لزيارة (تنوف) جعلت

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

نفسه تهفو إليها قبل أن يزورها وقد وصفها بأنّها محضن العلماء والدّعاء والصّالحين الذين نشروا في رباها كلّ خير لكي تكون مقباسا لغيرها، والشّاهد في هذين البيتين هو إدراج علم من أكبر علماء المذهب الإباضي ليتسنّى للشاعر الإشادة بما في هذه البلدة من حظوة علمية، وهذا أسلوب كثيرا ما يُوظّف في مقطع شعري ما أو فقرة في نصّ نثري؛ حيث يُوظّف المعلوم من الأشياء ليشدّ انتباه القارئ ويحفّزه على معرفة الخلفية الإبداعية لذلك النّص مهما كانت طبيعته أو نوعه، فإن كانت (تنوف) مجهولة لدى قارئ القصيدة فاسم (السالمي) بوجوده ضمن أبياتها يبعث فيها إكسيرا يسري في تناياها يجدّد من عزم القارئ في مواصلة القراءة و البحث عن ما يمكن يزيده معرفة بهذه البلدة كتاريخها وطبيعتها و أصول سكّانها وثقافتها، فصورة الشيء لا تكتمل إلاّ عند الإحاطة بالتفاصيل. لم يكتف الشّاعر محمد بن صالح ناصر بوصف الأماكن و الإشادة بها بل حاول أن يسبغ على كلّ موطن من بلدات عمان صفات الجلال والكمال، ممّا ينعت به الفرد عادة؛ فهو مثلا ينعت (وادي الأعلى) الواقع في بلدة بهلا(١٠) وهو عبارة عن فسيفساء طبيعية تجمع بين الجبال الشامخة المهيبة العالية والماء البارد المتدفّق العذب بقوله:

فهو للضيف جنّة ورياض
وهو للطّامعين أيضا منون

فتوظيف محسّن بديعيّ كالمقابلة في هذا البيت بشطريه لا يزيد المكان الموصوف إلاّ شرفا و رفعة؛ فلئن كان (وادي الأعلى) مزارا سياحيا يستلهم من خلاله الشعراء معاني قصائدهم لكونه جمع بين جمال الطبيعية و حسن الطبع في أهله ممّا مكّنه من استشعار هذه العظمة التي أشار إليها حيث نعت هذا المكان بأنّه موطن الشجعان الذين ينافحون عن حياض الدّين والملّة، وبيّن سحر طبيعته بقوله:

هاهنا علم (الجمال) هاروتُ
فتنة السّحر ما تبثّ العيون
و إذا آن للنّهار وداع
سكب السّحر في الأصيل السّكون

وممّا يدلّ على وجود سوابق تاريخية للمنطقة تشهد على ريادتها في الكفاح واستقدام العلماء وطلاّب العلم قول الشاعر:

لَقنته عمان فهو يلاقي
حادثات الزّمان وهو رصين
كم رأى فاتحا فأعطاه سيفا
أحمديّا جلاّه حقّ مبين
و آوى عالما فأعطاه حرفا
عربيّا له القران قرين(١١)

و ممّا يجسّد عمق التواصل و الانتماء بين الجزائر وعُمان، قول الشّاعر:

لا عيب فيهم غير أنّ ضيوفهم
تنسى بحضرتهم الأهالي والحطام
و نكاد لولا صبية و أحبّة .

لنقول: إنّما ننتمي لبني ريام(١٢)

فهو يعزّز انتسابه إلى بني ريام وهو من مَهرة بن حيدان ابن عمرو بن الحاف (الحافي) بن قضاعة من القحطانية، كانوا يقطنون على ساحل بحر عُمان(١٣)، لأنّه إذا نزل بساحتهم لم يشعر بغربة الأهل و الدّار فهم بالنّسبة إليه خير من أحسن الوفادة و أجار الضعيف و أعان المُحتاج، والملاحظ أنّ الشاعر يكرّر بعض المعاني في وصفه لبلدات تنتمي إلى منطقة جغرافية واحدة، وهي سمة غالبة في قصائده التي ضمّها ديوان ألحان وأشجان، ومن أمثلة ذلك إعادته لمشهد الطبيعة و كرم الضيافة على نحو متشابه في كلّ مكان يحلّ به أو يزوره بدءا بـ(بدية) وانتهاء بـ(إزكي)

فتحليل العمل الفني الواحد سرعان ما يتّسع ليشمل أعمال الكاتب كلّها لأنّ الخصائص التي نلاحظها في عمل من أعماله تنتشر في بقية أعماله في معظم الأحيان(١٤)، وهو ما يتأكّد بوصفه سمة غالبة في وصف الشاعر محمدبن صالح ناصر الذي حافظ على هذا المنوال حينما أهدى قصيدة لصديق له في السّلطنة(١٥)، أشاد فيها بخصال أهل عُمان و أبان عن مكانتها في نفسه؛ حيث وضعها موضع الوطن الثاني الذي لا محيد عنه حينما تدلهمّ الخطوب وتشتد الأزمات، بل إنّه جعل منها مشكاة تديّنه بعلم علمائها بأن يحذو حذوهم ويتعلّم منهم أصول المذهب وأساسيات العقيدة، وهو يسعى من خلال ذلك إلى رسم معالم توجيهية تبيّن أنّ المصدر الرئيس للمذهب الإباضي هو السلطنة وما دونها تبع لها يستقون من معينها، وما يعكس حقيقة ذلك قوله:

لو كنت فارقت الدّيار مهاجـرا
ما اخترت غيرك للشّدائد والمحن
أو كنت في عمري عشقت سوى الوطن
لاخترت من أرض العقيدة لي سكن
الله يا أرضا هويت، ترابها
أدب مصفّى كالنّسيم سرى فحن(١٦)

ب - ملامح التقارب النفسي من خلال بعض الشخصيات العلمية والتاريخية:

إنّ أكثر الإشارات الضمنية التي وردت

في قصائد الشّاعر محمد بن صالح ناصر تدلّ على أنّه لا يمكن أن يفارق ذهنه و لو خيط رفيع يربط بين وطنه الأمّ الجزائر وسلطنة عُمان، فهو يفخر بعلماء بلاده كما يباهي بعلماء عُمان على أنّهم أساتذته الرّوحيين الذين أخذ عنهم وتمثّل سمتهم واقتدى بحسن سيرتهم، وهذه الملامح القارّة في قصائده تؤرّخ لحياة كلّ علم يذكره لكونه صاحب أثر لا بدّ أن تتجلي حقيقته للقارئ، فمجموع الأبيات التي ضمّها ديوان (ألحان و أشجان) تكاد أن لا تخلو من توشيح عبارة بذكر علم إمّا على سبيل المدح والإطراء أو الإشادة ببعض الإنجازات العلمية، وهو على هذا النحو يقترب رويدا رويدا من شعر المتصوّفة الذين يخلّدون أسماء علمائهم ضمنيا تارة وبالتّصريح تارة أخرى لكونهم أنموذجا يحتذى في حياة الفرد لديهم، وإن كان ذكرهم لأولئك الأعلام لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن يزاحم مرادهم في التّعبير عن الشوق الإلاهي و نسجا على هذا المنوال فإنّ الشاعر محمد بن صالح ناصر يحاول دوما إشراك تخليد الأعلام بما يرتبط بها من أماكن و بقاع و أحداث، فهو مثلا حينما وصف (بدية) لم يرق له تمام الوصف وتشكيل اللّوحة الفنية إلاّ بإيراد قائمة زمرة من أفاضل علمائها لكي يكونوا شهودا على قيمة البلدة التي أراد أن يبيّن بعض مآثرها ويوضّح جانبا من جمالها حيث قال:

هاهنا حمزة الشراة ومحبو
ب وعزّان في الثرى نوار
وبلال وجابر وربيع
والجلندي لأحمد أنصار(١٧)

فإقحامه لثلة من علماء عُمان ضمن بيتين يؤكّد حقيقة التّواصل الرّوحي وأنّ الشاعر على معرفة واسعة بشخص هؤلاء الأعلام وكذا شخصيتهم لما تركوا من أثار أشاعوا بوساطتها معالم المذهب الإباضي في أقطار المعمورة؛ فعلمهم انتشر بين الأتباع بفعل البعثات العلمية التي لا تكاد تنقطع من عُمان و إليها، وللشاعر طابع آخر في الإحاطة بذكر من اشتهر منهم على أنّه يملأ بحضوره في القصيدة كلّها مكانة غيره ممّن أغفل ذكرهم و قد سبقت ملاحظة ذلك مع الشيخ (السالميّ) الذي أعاد ذكره في أكثر من موضع استئناسا بشهرته ومكانته التاريخية و العلمية، فهو مثلا في هذا الموضع يقول:

شقّ ليلا طوى عُمان زمانا
إذ بدا من رباك ذاك النّهار(١٨)

فكما ورد اسم الشيخ السالمي في أبيات تشيد بـ(بدية) كان ولا بدّ من ذكره عند الحديث عن (تنوف)؛ حيث قال:

سالم الرّاشدين كم أمّ عهدا
نوره مسجد وحصن متين(١٩)

ويتمّم هذا المغزى من إيراد الأعلام بوصفهم همزة وصل بين المشرق و بقية أقطار الأتباع توأمته بين قطري الانتماء (بلد المنشأ و بلد المرجعية الدينية)، فالشاعر يكثّف من معانيه في بعض أبياته ليجمع كلّ شتات يريد لملمته بأن يزيد من قوّة الوثاق الغليظ الذي يجمع بين الجزائر و السلطنة وأنموذج ذلك قوله:

صنوه القطب من سما الغرب كم
سحّ على الشرق غيثه المدرار
فهما مُزنتان علما وفضلا
حيثما حلّتا يطيب الجوار
هما نخلتان مهما تناءت
حبّبتها إلى النفوس الثمار(٢٠)

فالأسماء إن لم تذكر صراحة في هذه الأبيات فدلالتها اسيمائية أكبر من أن تَخفى لعدم وجود من يضاهي الشيخ امحمّد بن يوسف اطفيّش القطب العلم في المغرب العربي وكذا مثيله الشيخ السالمي في المشرق، فكلاهما تربّع على عرش الرّيادة فيما ألّفاه من كتب وربّيا من أجيال كانت تترى على كلّ مدرسة أنشآها سواء في المغرب أو المشرق حبل الوصال هذا لم يكن له لينقطع بوجود هذين العلمين اللّذين عملا على أن يكونا معينا لا ينضب لكلّ من أراد أن يعتنق المذهب الغباضي ويترسّم خطاه.

ج - ملامح التماهي بين البلدين في مخيلة الشاعر:

تعدّدت أشكال التواصل بين الجزائر و السلطنة حيث شملت ميادين كثيرة أهمّها الجوانب العلمية والثقافية التي ما فتأت تحشد كلّ جهد يعضّد من قوّة التلاحم و التواشج بين المجتمعين بفعل روابط المذهب أوّلا ومساحات الشراكة في النّسب ثانيا، فهذه المشّرات دعّمت أواصر التلاقي في كلّ مناحي الحياة (فتاريخ الإباضية في بلاد المغرب يبيّن بوضوح صلة المغرب الإسلامي بالمشرق و بالإباضية العمانيّين، الذين حافظوا على هذه الصلة، والذي أصبح المغرب الإسلامي بفضلها أصيلا في الإسلام و العروبة، كذلك يجد الباحث جوانب من أخبار المغرب الإسلامي العربي و تاريخ الإباضية فيه، وجهودهم في نشر الإسلام، وفي إنشاء الإمامة الإسلامية محفوظا في التاريخ العماني القديم والحديث، ومدوّنا في سير الفقهاء والعلماء الإباضية العمانيين)(٢١)، وقد أوجز

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

الشّاعر محمد بن صالح ناصر الحديث عن فكرة التواصل التاريخي و الحضاري عموما في مجموعة من الأبيات ضمّنهما خلاصة تعالق المصالح الدينية والدنيوية، وعبّر عن ذلك بمعان تجلي حقيقة ما وصل إليه الجزائريون و العمانيون من تقارب اجتماعي وفكري فانعكس كلّ ذلك في مرآة شعره حيث يقول:

عجبا تلتقي البصائر حبّا
دون أن تلتقى الأبصار
ليس للعلم مشرق فيجليه
ولا مغرب علاه السرار
إنّه النّور يجتلي كلّ أفق
ليس للنّور موطن ومدار
ليس في منطق السّحاب مزاب
وعُمان فكلّها أنهار
تلتقي بالتّقى القلوب وللرّوح
اتّصال ولو تشطّ الدّيار(٢٢)

د- أشجان الشاعر في رثائه للصحابي مازن بن غضوبة:

استمدّ الشاعر محمد بن صالح ناصر من وحي تاريخ بعض الأعلام صورة وجدانية انبعثت منها أشجانه المعبّرة عن وصال الماضي بالحاضر و أنّهما محضن أساس للوحدة الروحية بين المجتمعين الجزائري والعماني؛ فهو حينما هيّجته الذكرى لماض حافل بحياة صحابي جليل من عُمان(٢٣) كان له أثر كبير في أهلها، لكونه وفد على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ونال بركة دعائه له و لأهل عُمان، فمثّلت هذه الدعوة نقلة نوعية في عقيدة العُمانيين حيث تحوّلوا من الشرك إلى الإسلام، و أدّى ذلك إلى نشوء علاقة وطيدة بين هذا الصحابي الجليل و الأجيال التي جاءت بعده التي تدين له بالولاء إحقاقا للحقّ و الخير الذي نشره في بلادهم، فكلّ من عرف قدره وحقيقة ما قام به يسعى دوما إلى الإقرار بذلك الفضل، و أوّل استحقاق يشيد بمكانته رثاؤه في كلّ عصر، و امتدّت هذه الوصية الواجبة في حقّه لتشمل أتباع المذهب الإباضي في كلّ مصر، فكان لا بدّ من الوفاء بهذا الدّين الذي قضى أمانته الشّاعر محمد بن صالح ناصر من خلال مرثيته التي دبّجها بمسقط في الحفل الختامي لندوة هذا الصّحابي الجليل ما بين ٨-١١ ربيع الآخرة ١٤١١ هـ، الموافق لـ٢٨-٣١ أكتوبر ١٩٩١م، حيث نظم قصيدة يقول فيها:

و كيف نهدأ عن أنس بقربكم
وقد نسينا بكم في الدّار أهلينا
فإن يكن عقّنا دهر بصحبتكم
فليس بقدر و الأرواح تدنينا
أحبّة الدين مهما شطّ بي وطني
فإنّ في القلب أسلاكا تناجينا
سلك من الحبّ زكّاه و أوصله
ربٌّ يراعيه تمكينا و تمتينا
سلك من الحبّ تحت العرش وارفه
فكيف يذوى و ربّ النّاس ساقينا(٢٤)

فالملاحظ أنّ كلّ شطر في هذه الأبيات يتملء بمعاني الوفاء و كرم المودّة الذي لا يدعُ أيّ مجال بالغربة وتنائي الدّيار، فالعبرة ليست بمكانيين ببلدين باعد بينهما طولُ مسافة بل العبرة كلّ العبرة بوشائج العقيدة التي امتدّ أثرها في وصال كلّ معتنق لها؛ حيث يكون المرء في ظلّها مستأنسا بأتباعها أين ما وُجدوا، فالشّاعر من خلال مرثيته هذه يحاول أن يجعل من بلد العقيدة أصلا لكل أمن و موطن، فهو يقول معبّرا عن ذلك:

تقوى، وأمنا، وإنجابا، وتكرمة
تعلي (عُمان) فما تنفكُ تمكينا(٢٥)

فببركة هذا الصحابي الجليل أضحت عُمان قبلة كلّ إباضي يروم السكينة الروحية و رغد العيش في ظلّ الأمن الذي يهنأ به أهل السلطنة جراء دعاء النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم، قال الشاعر:

و أنتم بركات من سحابته إذ قال عند رسول اللّه: (آمينا)(٢٦)

هـ - وجدانيات الشاعر من خلال اغترابياته:

تتأكّد حقيقة الوصال الوجداني بين الشاعر و بلديه الجزائر و عُمان كلّما أوغلنا في استقراء معاني قصائده و استنطاق مكنوها الذي يحيلنا دوما على مشاعر تشعّ فيضا بكلّ أحاشيس الألفة لاسيما حينما ينازعه الشوق إلى بلده الثاني سواء كان في الجزائر أم في عُمان، وهذا ما تكشف عنه رحلاته ومسامراته مع إخوان له يجمعهم اللّقاء بعد فراق و تناء؛ فهو يصوّر مشهد حلاوة الاغتراب على أنّها شعور بنتاب المرء على غير العادة إذا ما كانت العقيدة ووحدة المذهب هي المؤلّفة بين القلوب و الجامعة لشتات البين لأنّ حقيقة الاغتراب في بعدها المعنوي لوعة و حرقة و حنين إلى موطن تكون دواعي فراقه أكبر من أن تقاوم، وبهذا يكون الشّاعر قد نقل صورة صادقة عمّا يشعر به حينما يكون في أحد موطنيه (الجزائر أو عُمان) و قد رسم تلك الصورة بقوله:

إن يكن ضمّهم (عُمان) اغترابا
فهواهم معلّق بالجزائر
(وطني لو شغلت بالخلد عنه)
نازعتني في الخلد فيه المشاعر

غير أنّ الحياة قرب و بعد

دونه تفقد الحنين البصائر(٢٧)

احتشدت في نفس الشّاعر معان أرغمته على أن يبوح بكلّ الأحاسيس التي تعتمل في صدره معبّرة عن مدى إخلاصه وارتباطه ببلده الأصيل الذي مهما غيّبته عنه الصوارف فهو لا بدّ أن لا يكون غيرُه بديلا عنه، وقد تمثّل الشاعر لهذا الشّعور بالوطنية ببيت أحمد شوقي:

وطني لو شغلت بالخلد عنه

نازعتني إليه في الخلد نفسي(٢٨)

فهو ضمّن قصيدته هذا البيت على جهة التّناص المقارب بوصفه لونا من ألوانه لأنّ (التناص الأدبي هو تداخل نصوص أدبية مختارة قديمة أو حديثة شعراً أو نثراًمع نص القصيدة الأصلي بحيث تكون منسجمة وموظفة ودالة قدر الإمكان علىالفكرة التي يطرحها الشاعر) (٢٩).

الخاتمة:

ما تمّ رصده من ملاحظات أثناء استقراء المادّة الشعرية في ديوان محمد بن صالح ناصر الذي وسمه بألحان و أشجان يمكن أن ترقى إلى مستخلص نتائج تكشف عن بعض السّمات الخاصّة بأسلوبه عامّة و أغراضه الشعرية التي تخلّلت مواضيع بعينها تجانست تارة و تباينت تارة أخرى، ومن أهمّ تلك النتائج و الملاحظات ما يلي:

- لا يمكن الحكم على مدوّنة شعرية من خلال ديوان واحد لشاعر ما لاسيما إذا ما كان مكثر أو له عدّة دواوين غير أنّ ذلك لا يمنع من إعطاء صورة ولو موجزة عن أهمّ المميّزات التي من شأنها أن تتكرّر حتما في بقية الدواوين بوصفها ظاهرة مطّردة؛ أي أنّها ختم يوقّع به الشّاعر ضمنيا في كلّ قصيدة، وهذا ما تمّ ملاحظته أثناء قراءة ديوان (ألحان و أشجان)، فهو حتما لم ينظم خصّيصا لمناسبة ما كان الاهتمام الأكبر فيها بالعلاقة بين الجزائر وعُمان، بل إنّه وكما هو واضح من خلال الأغراض الشعرية الواردة في الدّيوان أنّ الشّاعر استوحى معاني قصائده من مواضيع مختلفة و في مناسبات متباعدة و متباينة، لكنّ الميزة الغالبة بوصفها الختم الذي تمّت الإشارة إليه آنفا هو أنّ فكرة التواصل بين السلطنة و الجزائر قطبي المذهب الإباضي في المشرق و المغرب كادت أن تطغى بموضوعها عل جميع قصائد الدّيوان، فمحمد بن صالح ناصر لا يتوانى عن إدراج هذه الفكرة كلّما وجد سبيلا إلى ذلك، وكأنّها الرّسالة الضمنية التي أراد أن يبعث فحواها إلى كلّ جيل من أتباع المذهب الإباضي، كما عمل على شرحها لغير أتباع المذهب ليبيّن مدى تلاحم البلدين فيما تحلّقوا حوله من أساسيات تجمعهم حول المذهب الإباضي.
- حاول الشاعر أن يستثمر كلّ مؤشّر يزيد من قوّة ارتباط ذلك الوثاق الذي يوحّد الرؤية بين المجتمعين؛ ومن أهم تلك المؤشّرات الحدث التاريخي بما يحويه من مواقف صنعها أعلام تركوا بصماتهم من خلال ما أنجزوه فعلا وقولا وأكبر تلك المحطّات التي سجّلها التاريخ وحافظ عليها المُنجز الفكري بحصيلته من المؤلّفاتوتكوين الأجيال التي مثّلتها زمرة البعثات العلمية حينما لم ينقطع رحلاتها بين الجزائر وسلطنة عمان، ويظهر هذا المنحى في التواصل بشكل واضح من خلال الإشادة بشخصية بعض الأعلام في البلدين على أنّهم أقطاب علم يمثّلون المعين الذي لا ينضب والمرجع الذي لا يُحاد عنه.
- تحديد الشاعر للمرجعية الفكرية كان انطلاقا من الأعلام دون أن يُغفل طبيعة المكان وذلك بذكره على جهة التعيين بلدات بعينها كانت الوجهة إليها كلّما تهيأت فرصة الزيارة العلمية بالنّسبة لأتباع المذهب من البلدين، فهو حينما يشيد بفضائل أهل بلدة ما عادة ما يحاول أن يجد لها صنوا مقاربا في البلد الثاني على أنّه امتداد، ومثال ذلك:

ليس في منطق السّحاب مزاب

وعُمان فكلّها أنهار

تلتقي بالتّقى القلوب وللرّوح

اتّصال ولو تشطّ الدّيار

- ما تمّ ملاحظته كذلك أنّ وظيفة الشّاعر و مهمته فيما ينظمه من قصائد تحمل معان لها أثر ما؛ هذه الوظيفة لم تضمحل بفعل طغيان وسائل الإعلام لأنّها هي نفسها صارت قنوات أساس لرسالة الشّاعر ومنبرا من أهم منابره التي ينشر من خلالها فكره؛ فالشّاعر المعاصر تكيّف مع واقع الإبلاغية عموما و حاول أن ينسجم مع ما استحدث من معطيات في عالم الإعلام عموما لاسيما الشابكة العالمية التي أضحت مساحة إعلامية خصبة يستغلّها الشعراء لتمرير فحوى رسائلهم الشعرية، وهذا ما تمّ رصده من خلال تتبّع بعض المواقع الخاصّة بالمذهب الإباضي، حيث إنّها تنشر جميع الدواوين والقصائد التي

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

يمكن الاطّلاع عليها وقراءتها حتّى و إن تعذّر الحصول على الديوان في شكله الورقي، وهذا المنفذ التواصلي هو الذي غذّى نموّ كلّ علاقة بين المذاهب و الطوائف في هذا العصر.

هوامش المادة العلمية:

(١) علاقة عمان بشمال إفريقية: فرحات الجعبيري، ص٥٥، ط١، المطابع العالمية، رويّ، سلطنة عُمان.

(٢) التواصل الثقافي بين عمان و الجزائر: محمد بن قاسم ناصر بوحجام، ص٥-٦، ط١، ٢٠٠٣، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان.

(٣) ينظر المرجع نفسه ص٥ نقلا عن جريدة الحياة (الجزائر)، ص١٩٢، ع١٠ من شعبان١٤١٤هـ/٢٣ من جانفي١٩٩٣م.

(٤) .موسوعة الشعر الجزائري، تأليف: الربعي بن سلامة وآخرون، ٦٤٣/٢، ط٢، ٢٠٠٩، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

(٥) معجم أعلام الإباضية من القرن الأوّل الهجري إلى العصر الحاضر (قسم المغرب الإسلامي)، تأليف: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، ط٢، ٢٠٠٠م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

(٦)الأديب الشاعر أ.د محمد صالح ناصر(حياة جهاد في رحاب اللّه)، السيرة الذاتية والعلمية،ص٣، دط، دت،معهد المناهج، القرارة،غرداية، الجزائر.

(٧) ألحان وأشجان: محمد بن صالح ناصر،ص٢٢، دط، ١٩٩٥، جمعية التراث، القرارة، غرداية.

(٨) سفين جمع مفرده سفينة التي تجمع أيضا على سُفُن و سفائن وسميّت كذلك لأنّها تسفن الماء كما تمخّره، ينظر: أساس البلاغة: الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السّود، ٤٥٩/١، ط١، ١٩٩٨، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٩) ألحان و أشجان: محمد بن صالح ناصر ص٣٣.

(١٠) بهلا بلد على ساحل عُمان؛ ينظر: معجم البلدان: ياقوت الحموي، ٥١٦/١، ط٢، ١٩٩٥، دار صادر، بيروت، لبنان.

(١١) ينظر سلسلة هذه الأبيات؛ ديوان ألحان وأشجان: محمد بن صالح ناصر، ص٣٤-٣٥.

(١٢) ينظر المصدر نفسه ص٣٦.

(١٣) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: عمر رضا كحالة، ٤٥٨/٢، ط٨، ١٩٩٧، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان.

(١٤) مفاهيم نقدية: رينيه ويليك، ترجمة: محمد عصفور، ص٤٣٤، شباط١٩٨٧م، عالم المعرفة، الكويت.

(١٥) القصيدة أهداها الشاعر إلى صديقه عبد الله بن حمدان الإسماعيلي و إلى كلّ عماني جعله يحبّ السلطنة و يكبرها؛ ينظر: التواصل الثقافي بين عُمان والجزائر: محمد بن قاسم ناصر بوحجّام، ص١٥٦.

(١٦) المصدر نفسه ص١٥٦.

(١٧) ألحان و أشجان: محمد بن صالح ناصر ص٢٢.

(١٨) المصدر نفسه ص٢٣.

(١٩) المصدر نفسه ص٢٣

(٢٠) المصدر نفسه ص٢٣.

(٢١) حصاد ندوة الدّراسات العمانية، ٣/ ٢٦٥، ط٢، ١٩٨٦، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

(٢٢) ألحان و أشجان: محمد بن صالح ناصر ص٢٣.

(٢٣) هو الصحابي مازن بن غضوبة بنسبيعة بن شماسة بن حيان بن مر بن حيان بن أبي بشر بنخطامة بن سعد بن نبهان بن عمر بن الغوث بن طي، فهو رضي الله عنه سعديطائي من أهل سمائل، ولد وعاش وتوفي فيها، ينظر قصة إسلامه و ترجمته: معجم الصحابة: أبو الحسين عبد الباقي بن قانع، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، ١٢٢/٣، ط١، ١٤١٨هـ، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنوّرة، المملكة العربية السعودية.

(٢٤) ألحان وأشجان: محمد بن صالح ناصر ص٦

(٢٥) المصدر نفسه ص٧

(٢٦) المصدر نفسه ص٧

(٢٧) المصدر نفسه ص٥٢

(٢٨) ينظر الشوقيات، تقديم: محمد حسين هيكل، ٤٦/٢، ط١، ١٩٨٨، دار العودة، بيروت، لبنان.

(٢٩) ينظر: التناص نظرياً وتطبيقياً ، أحمد الزعبي ، ص٥٠، ط٢ ، ٢٠٠٠، مؤسسة عمون للنشر و التوزيع، عمان، الأردن.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2